

## أهالي القرى المحاذية لعرسال يؤكدون أن لا أحد يستطيع إلغاء التاريخ والعبث بالجغرافيا



## تحقيق - عبير حمدان

أن تقف عند «ملفي الغيم» وتترك العنان للعين كي تصمّ تلك البقاع الرحبة، فهذا فعل وجود. وتبدو التلال قاب قوسين أو أدنى من لحظات الحسم. طبيعة الأرض لا تنفصل على أصحابها، جميعهم يتمسكون بالسنايل المتمايلة وأشجار الخوخ والتفاح والمشمش، حتى حبة قمح الأخيرة، والثمرة الأخيرة المفلوحة من الشمس.

بين تفاصيل القرى المحاذية لخط النار، حكايا كثيرة وإرادة أكبر، فالحياة وقفة عزّ وفقاً لقناعاتهم. لذلك، هم لن يتركوا قرانهم ولن يسمحوا لأي طامع بولاية وهمية أن يحرق أركانهم ولو اجتمع الكون بأسره ليقاتلهم. يقولون في أمسيات السمر التي تأتي بعد نهارات العمل، إن أموال النفط الخليجي ولو أتحدت مع أطماع دول الاستعمار الداعية إلى ولادة شرق أوسط

جديد، لن تثنيهم عن حماية أرضهم وحضارتهم وتاريخهم. هنا نلمح صدق التلاحم بعيداً عن إسقاطات السياسة. والصمود قوامه الإيمان بالقضية ولا شيء سواه، تبدو السماء أقرب حيث يتفقا مزارع أشجار بستانه، وحيث يسير راع بمحاذاة أغنامه، وحيث يحمل الأطفال أقدامهم ليكتبوا حروف الأيام الأخيرة من عامهم الدراسي بانتظار شهادة النجاح. يشرع سهل البقاع الشمالي قلبه لمن يدرك قراءة التاريخ بحروف من نار ونور، ويضمك نسجه الاجتماعي بقوة، قلة قليلة من الناس فيه يسيطر عليها من يتقن التحريض على منابر الفتنة، والغالبية الساحقة تتمسك براءة المقاومة حتى الطلقة الأخيرة. لأنها مجبولة بالطبيعة، تسعى إلى استيعاب القلة الصالحة بعزيمة لا تلين. من الصعب أن ترى أي مظهر للتسلخ، ولكن هذا لا ينفي أن العيون الساهرة على أمن أهل المنطقة تراقبك، ولعل حضورها يبعث بالطمأنينة.

لا يمكن حصر المقاومة بإطار فئوي، فهي وليدة هذا الشعب بمختلف مشاربه الدينية والحزبية، هذا ما يؤكد أهالي القرى بدءاً من النبي عثمان وعرسال والعين ورأس بعلبك والقاع، وصولاً إلى الهرمل وما بعد حدودها الجغرافية، حيث التداخل واقع طبيعي اعتاده أبناء هذه الأرض، ولم يلغ التقسيم الذي فرضه الاستعمار تمهيداً لاغتصاب فلسطين. عند مشارف الغيم، رأينا المقاومين يعبرون برابات النصر، فأدركنا أن على هذه الأرض لا مستقر للغزاة، حملنا أوراقنا وآلة التسجيل، فتفوتت عدسة الكاميرا على اللغة. ما حفظناه في إطار مصور بشكل رصيداً لتحقيق صحافي يتماهى مع قرى المواجهة من لبنان إلى سورية، ولكن ما حفظته العين يتغامر والوريد المتقد غضباً أمام جرح بلاد الشام النازف. ومن لم ير، لا يسعه أن يروي قصصاً افتراضية عن شعب يبرع في صوغ النصر ولو أنكره المارقون.



خليل طي



محمد الحاج حسين



الياس التوم



توفيق منصور



وجدى العرجا

جورج نجيب عوض، أحد أبناء بلدة القاع، يؤكد أن الجميع هنا متفقون على رأي واحد وهو الدفاع عن الأرض فيقول: «جميعنا في القاع مستعدون للدفاع عن أرضنا وأعراضنا وبيوتنا، وهذا دفاع عن حدود الوطن قبل كل شيء. وأي تهديد يأتينا من الخارج، خصوصاً من جبهة النصرة وداعش، نحن جاهزون لردعه والنصدي بعزم وإرادة بمختلف أطبافنا وقناعاتنا. نحن ندعم جيشنا الذي يقف على خطوط المواجهة ولا نخشى شيئاً بوجوده، وسنبقى فوق هذه الأرض مهما حصل..»

تتفق نساء القاع بأننا شعب لا يهزم، وفيما هن منكمهات برصف «ورق العريش» ومن دون أي تعريف شخصي، يتحدثن سوية وبوتيرة حازمة فيقلن تباعاً: «نحن لا نخشى شيئاً، هذه قرينتنا ولدنا فيها وسنبقى فيها. ونحن مع كل من يحمي قرينتنا، لا بل نسهر على راحتها ونحضر الطعام للشباب المراضين في الجردود وندعو له بالنصر..»

## الأب نصر الله

يشير الأب ليان نصر الله - كاهن رعية القاع - إلى أهمية التفاعل محبة بين رعيته والمحيط ويتحدث عن العلاقات التاريخية التي تربط بين بلدة القاع وباقي أبناء المنطقة فيقول: «الدين المسيحي دين تسامح ومحبة. والقاع تاريخياً ارتبطت بمحيطها ضمن علاقات محبة وتفاعل حقيقي، وما تشهده سورية منذ سنوات أثر بشكل سلبي على بلدنا من حيث عدم قدرة المزارعين على العمل في أراضيهم التي تعرضت للصف، إضافة إلى حجم النزوح السوري الذي ترك أثره الاقتصادي على البلد، ناهيك عن غياب الدولة اللبنانية التي لم تنظم هذا النزوح بشكل جيد. والأمر المستغرب أن بعض هؤلاء النازحين شكل بيئة حاضنة للمسلحين التكفيريين المنتشرين اليوم في جردودنا وهذا أمر مؤسف. نحن ندعم جيشنا اللبناني، وإذا شعرنا أننا مستهدفون بشكل مباشر سنقاتل إلى جانبه.»

وعن الأحزاب الموجودة على الأرض يقول نصر الله: «في هذه المنطقة لا تفرقة، وجميعنا

التكفيرية، وفي ما يتصل بعرسال، المشكلة الحقيقية تكمن في الفريق السياسي الذي يعمل على إثارة النزعات المذهبية وتغيير الواقع وفقاً لمصالحه الفئوية. المعركة الأخيرة ستكون في جردود رأس بعلبك والقاع، ونحن مستعدون لها وسنحقق النصر بهمة شباب هذا الوطن..»

## القاع وعقيدة الدفاع عن الأرض

يؤكد الياس التوم، منفذ عام منظمة البقاع الشمالي في الحزب السوري القومي الاجتماعي، أن الأمن الذاتي حالة استثنائية قد يلجأ إليها أهالي المنطقة، ولكن تبقى الكلمة الفصل للجيش اللبناني الموجود اليوم على الأرض لحماية هذه القرى وعن ذلك يقول: «القاع هي نموذج حي للعرايش في بلد يسيطر عليه شبح التقسيم الطائفي والمذهبي. نحن لا ننفصل عن محيطنا، لا بل هناك تداخل بين أهالي القاع والقرى المحيطة بها. وما نعيشه اليوم يعني كل اللبنانيين بمختلف انتماءاتهم. وعلاقتنا بجميع الأحزاب الوطنية والمقاومة جيدة جداً. هذه المقاومة التي حققت الانتصار ولم تزل تدافع عن قرانا تستحق أن نقف إلى جانبها، وحزب الله استشهد بشابه في أراضي القاع، وهذا يكفي كي نحضنهم. فالدماء التي سالت ووت تراب حقولنا لنقي هنا. هذه المعركة معركتنا جميعاً ولو نجح أي تسلي لهذه المجموعات إلى قرانا كان المشهد مرعباً جداً، ولا يخفى على أحد أن في مخيمات النازحين بيئة حاضنة لهذه الجماعات، وهنا تكمن الخطورة. أضف إلى ذلك أن لدينا فريقاً سياسياً معروفاً لدى الجميع، يشجع هذه البيئة الحاضنة، سواء كانت من النازحين السوريين أو بعض اللبنانيين المستفيدين مما يحصل للأسف. نحن في القاع نثق بالجيش اللبناني والمقاومة وجميعنا مستعدون للدفاع عن أرضنا..»

الحياة تسير بوتيرة طبيعية وأهالي القاع لا يبدو عليهم الخوف، هم يتسامرون في المقاهي ويحضرون المؤتمرات كما كل موسم، وبيتسون للضييف القادم ولو كان يحمل آلة التسجيل. ومع النساء اللواتي يتحلّقن لرصف «ورق العريش»، تصبح الصورة أجمل.

عماً يحصل في سورية، شخص معنوه بكل ما للكلمة من معنى، وهو طائفي ومذهبي وبعينه سياسياً..»

وعن عرسال يقول العرجا: «عرسال محتلّة، هذه القرية يبلغ عدد أبنائها 45 ألف نسمة في مقابل 200 ألف نازح على أراضيها، ناهيك عن المسلحين المنتشرين في جردودها. وقد يكون من حضان هذه المجموعات التكفيرية قليلين، لكن جزءاً كبيراً من العراشلة مغلوب على أمرهم ومحاصرون ومهددون في أركانهم وأعراضهم ولقمة عيشهم. وكل من يعمل على التجيش الطائفي يسئ إلى أهالي عرسال، والمستفيد الوحيد مما يحصل هو العدو الإسرائيلي.»

أما عن القوى الحزبية الفاعلة على الأرض فيقول العرجا: «للاأسف، في ظل الانقسام الحاصل لا وجود لكل القوى الحزبية على الأرض. ومن يقاتل اليوم في الجردود فعلياً حزب الله والحزب السوري القومي الاجتماعي، وأنا مسؤول عن كلامي. وأهل القرى لن يبرحوا وسيدافعون عنها، العرايش يحكم هذه المنطقة ولو أن رأس بعلبك قرية مسيحية، لكنها لا تنفصل عن محيطها الإسلامي. فنحن نسيج متكامل. وأكثر من ذلك، أقول لك إن الروايات التاريخية المتناقضة بين الأجيال تشير إلى أن رأس الحسين ابن علي بن أبي طالب - حين عبر موكب السبايا - مزوا به من هنا. وأجزم أننا لم نشعر يوماً أن حزب الله - بما يمثله على الأرض - يفرض على ابن الراس أو القاع أي نمط حياة، ولم يتدخل إلا في الإطار الاجتماعي، إذ كان يعطي من هم بحاجة، من دون المجاهرة بعماءاته.»

## منصور والاستعداد الكامل

يؤكد توفيق منصور، مدير مديرية رأس بعلبك في الحزب السوري القومي الاجتماعي، أن حماية المنطقة أولوية لجميع أبنائها فيقول: «نحن على كامل الاستعداد لصدا أي اعتداء. ونعمل على رفع معنويات الناس بشكل كبير في إطار المواجهة المحتملة. أما التنسيق العسكري فيتيم مع سرايا المقاومة والأحزاب الوطنية في المنطقة. والغالبية الساحقة هنا تدرك مدى خطورة هذه الجماعات

من رأس بعلبك، قرينتنا تعرضت للكصف وخُملف أبنائنا، وأركانها مهددة باستمرار، لدينا 2400 سهم من الأراضي التي ورثناها عن أجدادنا، ليقف كل من يعتلي المنابر ويطلق البيانات حول النأي بالنفس، ويرافقنا إلى أراضيها التي لا يمكننا الوصول إليها..»

ويؤكد نصر الله أن «أهل الراس» (كما يطيب لأهالي البلدة والمنطقة أن يسؤمهم)، لم يختاروا الحرب، لكنهم لن يسمحوا لأحد بالاعتداء عليهم، فيقول: «نحن لسنا هواة حرب ولا نفتح الجبهات على حسابنا ومزاجنا، ولكننا مهذبون في أرضنا وناسنا وأعراضنا وكنائسنا. أنا لا أحتاج إلى إذن كي أحمل سلاحاً وأحمي منزلي، وفي النهاية لا أحد يخسر الحرب بإرادته. وأجبتنا أن نقاتل من يعتدي علينا، ومن لا يريد القتال فهذا شأنه. نحن أمام مقولتين: الأولى تدعونا إلى المواجهة، والثانية تدعو إلى التخاذل، ومن الطبيعي أن نختار المواجهة.»

وعن علاقة أهل رأس بعلبك بالنازحين السوريين يقول نصر الله: «من لجأ إلينا طلباً للأمن أهلاً وسهلاً به، إنما من يتبنى الفكر التكفيري ويسعى إلى التعاون مع دعاته، فلا نحتاج إلى إذن كي نحاسبه، والقوى الأمنية كفيلة بذلك.»

ويختتم نصر الله بكلمة مختصرة إلى وسائل الإعلام فيقول: «الإعلام الذي يقف مع محور الشرق الأوسط الجديد جُهد في تشويه الحقائق بشكل مؤد، وظلم أهل المنطقة كثيراً، وهذا يدخل في إطار الجرب المفتوحة بين محوريين. أما وسائل الإعلام التي تصنّف في خاتمة محور الممانعة، فيؤسفي القول إنها قصرت ولم تتمكن من مجاراة الواقع كما يجب..»

## العرجا: العدو المستفيد الوحيد

يعتبر وجدى العرجا، ابن رأس بعلبك، أن من لا يعرف هذه الأرض لا يحق له إطلاق المواقف. ويؤكد أن الخلاص الوحيد لأهالي رأس بعلبك والقاع يتمثل بالمقاومة حتى اللحظة الأخيرة فيقول: «لولا المقاومة لكان المشهد الأخير الذي رأيناه في إدلب قد تكرر هنا. ومن يقول إننا بمتنا



نساء من بلدة القاع



رفعت نصر الله متحدّثاً إلى «البناء»